صحافة الأحزاب العراقية العلنية 1930- 1935

تعد الأعوام الواقعة بين 1930 - 1935 من الأعوام البارزة التي مر بها تاريخ العراق المعاصر وذلك لما شهدته من تطورات سياسية لعل من أبرزها توقيع المعاهدة العراقية البريطانية عام 1950 م ، وإنهاء مرحلة الانتداب البريطاني بحصول العراق على الاستقلال بعد دخوله عصبة الأمم عام 1932 م .كذلك تم في هذه المرحلة تصديق أول قانون للصحافة العراقية في الثاني من حزيران 1931 م .وقد كان هذا القانون هو (أول قانون عراقي ينظم فعاليات الصحافة منذ تأسيس المملكة العراقية ، وقد أصبح فيما بعد القاعدة الأساسية لكل قوانين الصحافة العراقية اللاحقة حتى عام 1954) ولقد عاشت صحافة الأحزاب العراقية العلنية في العراق أوائل الثلاثينيات أزمة البحث عن الاستقلال ، جنباً إلى جنب مع التطلع إلى بناء هوية عراقية لها مقومات قومية ، وتشكيل حلم قومي لمقومات أمة ذات شكل وطني بعيداً عن جميع المشاكل السياسية . وقد كانت هذه الصحافة من أهم الوسائل التي استخدمتها الأحزاب السياسية العراقية خلال الثلاثينيات في ترسيخ النزوع الوطني والمطالبة بالإصلاح السياسي والاجتماعي والاهتمام بالقضية الفلسطينية ، والتنبيه إلى مخاطر النشاط الصهيوني في العراق وبقية الأقطار العربية ، ونقد الأوضاع الداخلية من اجل تحقيق الرفاه والإصلاح والتقدم لبناء العراق الجديد . كذلك فقد كانت صحافة الأحزاب العراقية العلنية في هذه الفترة معنية بالمراقبة السياسية لإجراءات وقرارات الحكومة وكذلك المراقبة السياسية للانتخابات حيث ساهمت هذه الصحافة في زيادة وعي المواطنين وتنظيمهم بالشكل الذي يزيد وعيهم السياسي بما حدث من حولهم . وقد بدأت القضية الفلسطينية خلال الثلاثينيات من القرن الماضي تفرض نفسها على تفكير الشارع العراقي ، وتثير اهتماماً واسعاً على كافة المستويات رسمية كانت أم شعبية .وقد أشار الفصل السابق الى ان هذا الاهتمام قد بدأ أواخر العشرينيات بشكل بسيط ثم أخذ يتطور ويتصاعد حتى أصبح أواخر الثلاثينيات وبداية الأربعينيات أحد أسباب الصدام المسلح مع قوات الاحتلال البريطاني التي احتلت العراق مرة ثانية 2 2 مايس 1941 . وقد كانت المظاهرة الشعبية في بغداد عام 1928 علامة بارزة في تاريخ نضال صحافة الأحزاب العراقية العلنية أواخر العشرينيات وبداية الثلاثينيات ضد الصهيونية . وبهذا الصدد يعترف الكاتب الصهيوني يوسف مئيران زيارة الفريد موند للعراق (كانت بمثابة علامة تغييري وضع النشاط الصهيوني في العراق ، فقد بدأت الصحف العراقية بعدها بشن حملة معادية للصهيونية اتخذت طابع الحدة خلال الثلاثينيات) ولقد أخفقت صحافة الأحزاب العراقية العلنية خلال الفترة الممتدة

بين عامي 1935.1930 م في معالجة ظاهرة الفساد المتمثلة في إثراء بعض القادة المتنفذين 2 عراق الثلاثينيات من خلال السيطرة على الأملاك العامة ومشاركات بين التجار اليهود ورجال السلطة ، فالجهة الأخيرة منحت الأولى امتيازات وحماية لقاء نسبة من الأرباح . ولم تشر الصحافة الحزبية في هذه الفترة الى ان القادة المتنفذين لم ينظروا للسلطة كأداة لخدمة الشعب وإنما وسيلة وغاية استغلت لخدمة أغراض ذاتية فالقوة الإدارية ولدت إثراء غير مشروع استخدم في تقوية وحماية مراكز القوى في عملية التناحر السياسي . وتشير الوقائع الى ان عددا من الوزراء المتنفذين خلال هذه الفترة أصبحوا ملاك أراضي بفعل الممارسات غير المشروعة . ويمكننا إعطاء فكرة واضحة عن واقع الصحافة الحزبية خلال عقد الثلاثينيات من خلال يأتي :

1 - صحافة حزب العهد العراقي :

تقدم كل من إبراهيم الواعظ وعبد الرزاق الرويشد وعبد الرزاق منير وعبد الرزاق الحصان ونجيب الراوي وصلاح بابان وداود السعود وعبد الهادي الجلبي وصادق البصام وعبد العزيز السنوي بطلب الى وزير الداخلية لتأسيس حزب سياسي باسم حزب العهد العراقي وقد أرفقوا مع الطلب المنهاج الأساسي لهذا الحزب ، وبعد مرور شهر مندرت موافقة وزارة الداخلية على الطالب المذكور بتاريخ 14 / تشرين ا الأول / 1930 . وقد أوعز نوري السعيد الى احد أعضاء الهيئة التأسيسية لحزب العهد العراقي بإصدار جريدة ناطقة بلسان الحزب لتتولى إسناد الوزارة السعيدية الأولى : فصدرت جريدة (صدى العهد) بتاريخ 7 / آب / 1930 ، 2 أي قبل تأليف الحزب بصورة رسمية . وقد صدرت بأربع صفحات وبالحجم الكبير وكان صاحبها ومديرها المسوؤل عبد الرزاق الحصان ويعتبر عبد الرزاق الحصان ومعروف الرصافي وعبد الهادي الجلبي وتوفيق السمعاني من أهم الكتاب الذين حرروا هذه الجريدة . ولقد كان لنوري السعيد مكانة مهمة في قيادة حزب العهد العراقي ، وكان معظم أعضاء الحزب يحيطون بالدائرة السياسية لرئيس الحزب يسيرون بحسب ما يمليه عليهم من خطط ومشروعات . وقد استغل نوري السعيد هذه الثقة فعقد للحزب اجتماعاً لأول مرة يوم 15 / تشرين الأول / 1930 ، قرر فيه تأييد الحزب للحكومة في إبرام المعاهدة العراقية - البريطانية لعام 1930 تأييداً تاماً . وقد قام هذا الحزب بالكثير من الأعمال خلال الثلاثينيات التي خدمت بريطانيا . على حساب العراق ومن أهمها عقد المعاهدة الانفة الذكر والتي كانت من أهم النجزات التي جاء من اجلها نوري السعيد إلى الحكم . ولقد اهتمت جريدة (صدى العهد) بالأفكار العربية والقومية ، فاهتمت بالتقارب العربي وخاصة ما يتعلق بتأييد مشروع توحيد القطرين العراقي والسوري ، كما دعت هذه الجريدة الى الاعتزاز بالتراث العربي

والتمسك بالوحدة القومية كذلك دعت الجريدة في عدة مقالات لها الحكومة العراقية الى البناء والعمران بعدما عبثت بالعراق يد الأتراك فتأخر في كافة نواحي الحياة العمرانية والاقتصادية والثقافية . وي 25 / كانون الأول / 1930 ترك عبد الرزاق الحصان مسؤولية الإدارة في جريدة (صدى العهد) فانتقل امتيازها الى عبد الهادي الجلبي ورئيس تحريرها توفيق السمعاني . وقد أسس الحزب مطبعة خاصة لجريدة (صدى العهد) في بغداد سميت مطبعة العهد . وقد كرست جريدة (صدى العهد) مقالاتها الافتتاحية في فترة تولي نوري السعيد رئاسة الوزارة العراقية الثالثة عشرة (23 / آذار / 1930_19 / تشرين الأول / 1931) والوزارة العراقية الرابعة عشرة (19 / تشرين الأول / 1931- 28 / تشرين الأول / 1932) لمساندة الحكومة ، فدافعت عن سياستها في النطاقين الداخلي والخارجي . وساندت جريدة (صدى العهد) دعوة نوري السعيد الى تكوين حلف عربي للبلدان العربية الشرقية فنشرت عدة مقالات لتجنيد هذه الفكرة ومنها ما نشرته في العدد (156) وكان مقال افتتاحي بعنوان (الحلف العربي) (*) . إن إلقاء نظرة سريعة على الأعداد الصادرة من هذه الجريدة والموجودة في المكتبة الوطنية ببغداد ، تجعلنا مقتنعين أن هذه الجريدة قد اتسمت مقالاتها الافتتاحية بردودها العنيفة ضد الحزب الوطني العراقي وحزب. الوطني لكونهما من الأحزاب العراقية المعارضة للمعاهدة العراقية البريطانية المعقودة سنة 1930 (1) وقد اهتمت جريدة (صدى المهد) بظهور هتلر وروجت بحماسة للنازية الألمانية وكانت تدعو الى إرسال البعثات العلمية إلى ألمانيا ولمل مقالها الافتتاحي بعنوان (هتلر الدكتاتور الأوربي الجديد) خير مثال يذكر على ذلك . واحتجبت جريدة (صدى العهد) بتاريخ 20 / شباط / 1933 . و 4 6 / آذار / 1933 ارتأى حزب العهد إصدار جريدة أخرى ناطقة بلسانه باسم جريدة (الطريق) ، فصدرت بأربع صفحات وكان مديرها المسؤول محي الدين السهروردي ورئيس تحريرها توفيق السمعاني وقد طبعت بمطبعة العهد . وسارت (الطريق) على مسار (صدى العهد) نفسه ، فكرست جهودها لخدمة أهداف حزب العهد العراقي ، ومن جهودها أنها إندفعت بحماس كبير للدعوة إلى وحدة سوريا والعراق وهي الفكرة التي نادى بها نوري السعيد من قبل لتوحيد المشرق العربي . وابتداء من العدد (82) الصادر بتاريخ 5 / تموز / 1933 تبدل اسم المدير المسؤول لجريدة (الطريق) من محي الدين السهرودي الى إسماعيل حقي سليمان مع بقاء رئيس التحرير توفيق السمعاني . وقد اهتمت (الطريق) بقضية الاثوريين ي العراق ، وقد نشرت عدة مقالات معادية لحركتهم حيث وصفتهم بـ (التياريين) وهم في نظرها شرذمة من العصاة كانت تقصد قلب نظام الحكم في العراق . وقد كانت القضية الفلسطينية محور اهتمام جريدة العراق حيث نشرت عدة مقالات نبهت

فيها إلى السياسة الاستعمارية التي تريد ان تجعل من العراق وبقية البلدان العربية ونبهت الى مخاطره فلسطين وطنا قوميا للصهيونيين.كذلك اهتمت بمتابعة النشاط الصهيوني في العراق وبقية البلدان العربية ونبهت الى مخاطره .

أيدت جريدة (الطريق) الوزارة التي ألفها جميل المدفعي (الوزارة الثامنة عشرة في 8 تشرين الثاني / 1933 - 19 / شباط / 1934) (ووقفت موقفاً فاترا من الوزارة ألفها علي جودة الأيوبي (الوزارة العشرون 27 / آب / 27.1934 / شباط / 1935) 2. ولما ألف ياسين الهاشمي وزارته (الوزارة الثانية والعشرون 17 / آذار / 1935 - 29 / تشرين الأول / 1936) أيدته جريدة (الطريق) وعند حدوث انقلاب بكر صدقي سنة 1936 وتأليف وزارة حكمة سليمان (الوزارة الثالثة والعشرون 29 / تشرين الأول / 1936- 17 / آب / 1937) (4) أظهرت جريدة (الطريق) معارضتها للوزارة القائمة ونتيجة لهذا الموقف عطلت جريدة (الطريق) يوم 23 / تشرين الثاني / 1936 فصفى الباقون من أعضاء الحزب مطبعة العهد.

2- صحافة الحزب الوطني العراقي :

كانت مجموعة من الوطنيين العراقيين تعقد اجتماعات في دار حمدي الباججي وتطلق على نفسها اسم (الحزب الوطني العراقي) ومن بين هؤلاء محمد مهدي البصير وبهجت زينل وعارف حكمت وحمدي الباججي وعبد الحسين الجلبي . ولما عاد محمد جعفر أبو التمن من الحجاز في أيلول 1921 انضم إلى هذه المجموعة ونشطت فكرة تأسيس الحزب . كما ساهمت الصحف العراقية في نشر المقالات لتي تظهر حاجة العراق الى حزب سياسي . ونتيجة لهذه المداولات قدم طلب الى وزارة لداخلية في 8 / آذار / 1922 بتأسيس حزب سياسي باسم الحزب الوطني العراقي فق المادة السادسة من قانون الجمعيات العثماني لكن وزارة الداخلية لم تجب مقدمي الطلب على طلبهم وأخذت تسوف في السماح لهم بإنشاء الحزب " . وبعد صدور قانون الجمعيات 2 2 / تموز / 1922 تقدم في اليوم نفسه محمد ، مهدي البصير وعبد الغفور البدري ومحمد جعفر أبو التمن واحمد الشيخ داود ومولود مخلص وبهجت زينل وحمدي الباججي بطلب الى وزارة الداخلية للموافقة على تأسيس الحزب الوطني العراقي " . وقد حصلت موافقة وزارة الداخلية على تأليف الحزب المذكور ، واعتبر على أثر ذلك الحزب مجازا للعمل السياسي بصورة بتاريخ 2/8/1922 رسمية ولم يمض شهر على فترة عمل هذا الحزب حتى أغلقه المندوب السامي في 26/8/1922 وعاود نشاطه للفترة الثانية 2

30 / حزيران / 1928 (4) ويرجع سبب الإغلاق الى أنه عندما اتخذت السلطات البريطانية في صيف عام 1921 إجراءات تنظيم مضابط في مبايعة الامير فيصل ملكاً على العراق نظمت لهذه المبايعة صيغة معينة . وكانت هذه الصيغة تتضمن تأييد قرار مجلس الوزراء المتخذ بجلسته المنعقدة يوم 11 / تموز / 1921 للمناداة بالأمير فيصل ملكاً على العراق بشرط ان تكون حكومته دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون وي 23/8/1922 ، عندما جاءت الذكرى السنوية الأولى لتتويج الملك فيصل ولم يته شيء من الشروط التي قدمها الموقعون على تلك الصيغة نظم الحزب الوطني بالاشتراك مع حزب النهضة العراقية مذكرة الى الملك جاء فيها : (ان الحكومة المقرر شكلها في نص البيعة هي حكومة دستورية نيابية ديمقراطية ، وكان المنتظر بعد التتويج انتخاب المجلس التأسيسي لسن الدستور وتأليف المجلس التشريعي تكون الوزارة مسؤولة أمامه حسب القواعد الجارية في الحكومات الدستورية . وحيث أن جميع ما ذكر قد بقي في عالم المواعيد ، ولم يخرج من القول الى حيز العمل فقد بقيت الأمة تكابد أنواع الأضرار الناتجة من سوء الإدارة المتغلب عليها نفوذ البريطانيين المناي لروح الاستقلال ، لذلك طلب الحزب إيقاف التدخل . ولكون الملك فيصل الأول قد البريطاني وتأليف وزارة من الأكفاء المخلصين) أصيب بمرض الزائدة الدودية واضطر الى إجراء عملية جراحية ، فقد تفرد المندوب السامي بإدارة شؤون المملكة العراقية فرأى أن يعالج الموقف بسد أبواب كل من الحزب الوطني العراقي وحزب النهضة العراقية وتفي سبعة أشخاص من رجالهما وبتعطيل جريدتي (المفيد) و (الرافدان) ونفي مديريهما (2) . ولعل من الجدير بالملاحظة ان الحزب الوطني العراقي في سنوات نشوئه الأولى لم يقم بإصدار جريدة خاصة ناطقة بلسانه ، واكتفي بجريدة احد أعضائه وهي جريدة (الاستقلال) لصاحبها عبد الغفور البدري التي ساندت مبادئ الحزب الوطني العراقي وعملت على نشر أهدافه . أما الفترة الثانية في تاريخ الحزب الوطني فتبدأ من (30 / حزيران / 1928) وتنتهي بتاريخ (20 / نيسان / 1934) ومقدماتها تبدأ مع انتهاء نفي محمد جعفر أبو التمن الى جزيرة هنجام وعودته الى بغداد بتاريخ 10/5/1923 . وكان قد انتهى قبل ذلك نفي حمدي الباججي ومهدي البصير عضوي الهيئة الإدارية المؤسسة للحزب المذكور وعادا الى بغداد غير ان الحزب الوطني العراقي لم يستأنف نشاطه حيث اعتزل محمد جعفر أبو التمن العمل السياسي بعد عودته من المنفى ، ولم يعاود نشاطه السياسي حتى انتخب عن بغداد في شهر حزيران عام 1928.

3 -صحافة حزب الإخاء الوطني :

تقدم كل من ياسين الهاشمي وناجي السويدي وعلي جودة الأيوبي ورشيد عالي الكيلاني وحكمة سليمان ومحمد زكي المحامي وعبد الإله حافظ وكامل الجادرجي بطلب إلى وزير الداخلية لتأسيس حزب سياسي باسم (حزب الإخاء الوطني) وأرفقوا الطلب بمنهاج الحزب الذي كان يتضمن أربع فقرات موجزة . وقد أجازت وزارة الداخلية هذا الحزب بتاريخ 20 / تشرين الثاني / 1930 . وقد تأسس هذا الحزب ليقف في وجه حزب العهد العراقي المساند المعاهدة العراقية البريطانية عام 1930 ويحد من تصرفات الحكومة . وقد ترأس هذا الحزب 4 29 / نيسان / 1935 . وقد اهتم حزب الإخاء الوطني ، قبل تأسيس صحافته الحزبية الناطقة بلسانه بموضوع المعاهدة العراقية - البريطانية لسنة 1930 واتخذها هدفاً لكفاحه السياسي ومقاومة وزارة نوري السعيد الأولى.وقد كانت جريدة (البلاد) لصاحبها رفائيل بطي التي صدرت عام 1929 ، والتي ساهم ي تحريرها بعض رجال حزب الإخاء الوطني من أبرزهم ياسين الهاشمي هي الجريدة الاولى التي ساندت هذا الحزب وروجت لمبادئه وأهدافه ومن الصحف المستقلة الأخرى التي أيدت سياسة هذا الحزب وأهدافه صحيفة (العالم العربي) وصحيفة (الأخبار) وصحيفة (الجهاد) وعلى الرغم من ذلك ، فقد ارتأت الهيئة العليا لحزب الإخاء الوطني ان تكون للحزب جريدة تنطق بلسانه ، فأصدر جريدة (الإخاء الوطني) في الثاني من آب 1931 وبأربع صفحات من الحجم الكبير وقد كان صاحب امتيازها علي جودت ومديرها المسؤول عبد الإله حافظ (2) . وقد استغلت جريدة (الإخاء الوطني) معظم افتتاحياتها في انتقاد حكومة نوري السعيد ، وعندما استعملت العنف ضد الصحفيين الوطنيين المعارضين لسياستها ، فأوقفت عدداً منهم وشردت آخرين . ونتيجة لمقالات جريدة (الإخاء الوطني) الجريئة ضد السلطة فقد أنذرت أكثر من مرة ، وقد عطلت مدة شهر واحد وذلك بناء على أمر وكيل وزير الداخلية بعد إن نشرت مقالاً بعنوان (ومع ذلك يجتمعون) انتقدت فيه حكومة نوري السعيد بشدة . وقد صدرت بديلاً عنها جريدة الأخبار التي توقفت بعد صدور العدد (102) لتعاود جريدة- (الإخاء الوطني) الصدور من العدد (103) بتاريخ 2 / كانون الأول / 1931.

ولقد كانت الحكومة شديدة في توجيه سلطتها على الصحافة وبالذات بعد صحف المعارضة ، ولعل أبرزها جريدة (الإخاء الوطني) التي تم تحذيرها منذ اليوم الأول لصدورها وأجبرت على نشر التحذير في عددها الثاني ثم تحذيرها لاحقاً عشرة أيام ، وتم بعدها تمطيئها لأربعة أشهر بأوامر من مجلس

الوزراء . وقد بررت الحكومة تصرفاتها ضد هذه الجريدة بأنها عرضت الأمن الداخلي إلى الخطر . ولعل السبب الرئيسي في تصرفات الحكومة العراقية المناهضة للصحافة يرجع الى الضغوط البريطانية التي كانت تتعرض لها الحكومة العراقية حتى بعد انضمام العراق الى عصبة الأمم في 3 / تشرين الأول / 1932 ، مشتكين من أن تقارير وتعليقات الصحف العراقية تظهر روح عدائية ضد بريطانيا ، وبالذات مقالات جريدة (الاخاء الوطني) . وقد أمرت وزارة الخارجية البريطانية سفارتها في بغداد بالشكوى لدى الحكومة العراقية بان هذه المقالات الصحفية تهدف الى تشويه سمعة بريطانيا . وتشير الوثائق الى أن مجلس الوزراء قد قرري جلسته المنعقدة في 15 تشرين الاول / 1932 تعطيل جريدة الإخاء الوطني في أعقاب هذه الشكوى " . واحتجبت جريدة (الإخاء الوطني) بصدور العدد (502) بتاريخ 7 / تشرين الثاني / 1933 ولم يعد لها وجود.

4. صحافة حزب الاخاء الوطني (شعبة الموصل) :

اهتم حزب الإخاء الوطني بالصحافة للتأثير في الرأي العام العراقي تجاه القضايا الوطنية ومن أبرزها رفض المعاهدة العراقية البريطانية سنة 1930. وقد كانت جريدة (البلاغ) الموصلية تعبر عن سياسة حزب الإخاء الوطني ولسان حال شعبة الحزب في الموصل . وقد تم افتتاح هذه الشعبة في الموصل بحضور سكرتير الحزب الشيخ محمد رضا الشبيبي والدكتور عبد الإله حافظ محاسب الحزب . وقد تكونت الهيئة الإدارية للشعبة من ضياء يونس المحامي وعبد العزيز حمو القدو وجمال المفتي وبشير الصقال وحسن الجلبي وقاسم الديوه جي وحمدي جلميران وعبد الفتاح زكريا . وقد صدر العدد الأول من جريدة (البلاغ) بتاريخ 26 / تشرين الثاني / 1931 وكان صاحب امتيازها متى فتح الله سرسم ومديرها المسؤول المحامي احمد سامي الدبوني وقد صدرت بأربع صفحات وبمقياس (50 × 36) سم (1) . وقد اهتمت (البلاغ) بنشر نشاطات حزب الإخاء الوطني في العاصمة وفي بقية شعب الحزب في البصرة والحلة ، كما كرست صفحاتها لمهاجمة سياسة نوري السعيد لذا تعرضت للتعطيل مرات عديدة وطالبت في مقالاتها الافتتاحية ، في ضوء أهداف حزب الإخاء ، بتعديل معاهدة 1930. وتبنت الجريدة موقف حزب الإخاء الوطني من تمرد الاثوريين (التياريين) ونشرت بيان موقف الحزب من التمرد.كما اهتمت جريدة (البلاغ) بالقضية الفلسطينية وسخرت صفحاتها لنقل أخبار وحوادث فلسطين مع بيان موقف الحزب المتمثل بإرسال الاحتجاجات وعقد الاجتماعات . وكذلك اهتمت جريدة (البلاغ) بالقضايا الداخلية منها معالجة حالة العامل والفلاح وحقوق المرأة . وتابعت

نشاطات جمعية الإسعاف الشعبي التي اختصت بجمع الإعانات والتبرعات النقدية لعوائل شهداء الجيش والمتضررين من جراء تمرد الاثوريين وزيارة جرحى الجيش ومواساتهم وقد تابعت جريدة (البلاغ) باهتمام موضوع تعديل معاهدة 1930 علـى أسـأس المنافع المتبادلة بين العراق وبريطانيا مستنكرة استغلال اسم الصداقة لصالح بريطانيا ففي مقال افتتاحي لها بعنوان (تعديل المعاهدة ضرورة لتكوين صداقة متينة بيـن الـدولتين) طالبت الجريدة بصداقة حقيقية مثمرة لا صـداقة اسمية فقط . فقالت مطالبة بالتعديل (الواجب على من يكون بمركز يساعده على القيام بخدمة هذا البلد أن لايدخر وسعاً في سبيل العمل على تعديل المعاهدة والتخفيف من وطأة بعض موادهـا) .